مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

الرسالة

(١كورنثوس ١٦:١٣-٢٤)

يا إخوةُ اسهروا اثبُتوا على الإيمانِ كونوا رِجالاً تشدَّدوا* ولتكن أمورُكم كلُّها بالمحبَّة* وأطلُبُ إليكم أيُّها الإخوةُ بما أنَّكم تعرِفونَ بيتَ استفاناسَ أنَّه باكورَةُ أخائيةَ وقد خصَّصوا أنفُسَهم لخِدمةِ القديسين* أن تخضعوا أنتم أيضاً لمِثلِ هؤلاءِ ولكلِّ مَن يعاونُ ويتعب* إنّي فرِحٌ بحضورِ استفاناسَ وفُرْتوناتُسَ وأخائِكوسَ لأنَّ نقصانَكم هؤلاءِ قد جَبَروه* فأراحوا روحي وأرواحكم. فاعرِفوا مِثلَ هؤلاءِ* تُسلِّمُ عليكم كنائسُ آسِيَة. يُسلِّمُ عليكم في الربِّ كثيراً أكيلا وبرِسْكِلَّة والكنيسةُ التي في بيتِهما* يسلِّمُ عليكم جميعُ الإخوة. سلِّموا بعضُكم على بعض بقُبْلَةٍ مقدَّسة* السلامُ بيدي أنا بولس* إن كانَ أحدٌ لا يُحبُّ ربَّنا يسوعَ المسيحِ

تيطس الرسول

تُعيِّد كنيستنا المقدَّسة للرسول تيطس في الخامس والعشرين من شهر آب. ويُعتبر الرسول تيطس حامي جزيرة كريت، كونه كان أسقفها الأوّل الذي سامه الرسول بولس ليرعاها، كما أنّ الرسول بولس كتب له رسالة تُعتبر من الرسائل الرعائيّة.

كان الرسول تيطس من أصل وثني وقد هداه الرسول بولس إلى الإيمان بالمسيح. إلتقيا في أنطاكية حوالي العام ٤٩ م. وأتى به بولس مع برنابا إلى أورشليم ليقدّم تقريراً عن خدمته بين الأمم. ويُذكر أنّ القديس تيطس لم يضطر أن يختتن، وقد استعمل الرسول بولس هذه الحالة للإشارة إلى عدم ضرورة الختان للخلاص، إذ يكفي الإيمان بالمسيح المخلّص. رافق تيطس معلّمه بولس في أسفاره وصار أحد أقرب معاونيه. وقد كان صلة الوصل بين الرسول بولس وأهل كورنثوس في محاولة حلّ المسائل العالقة في تلك المدينة، كما اهتمّ أيضاً بمسألة جمع التبرّعات لكنيسة أورشليم.

بشّر الرسول تيطس مع معلّمه مدناً عديدة من مدن جزيرة كريت، وعندما اضطر الرسول بولس إلى مغادرتها ترك تيطس وراءه ليُكمل تنظيم الكنيسة الجديدة ويقيم في كل مدينة أسقفاً. واجه تيطس مقاومةً عنيفة، خصوصاً من قِبَل اليهود، فكتب تيطس عن ذلك إلى الرسول الذي أجابه مشجّعاً إياه على التعليم وفق العقيدة الصحيحة وعلى تقديم نفسه للآخرين مثالاً صالحاً.

عاد الرسول تيطس لينضمّ إلى الرسول بولس في نيكوبوليس. ومن هناك أُرسل في مهمّة جديدة إلى دلماتيا، حوالي العام ٦٥ م. ولمّا استشهد القديس بولس، عاد تيطس إلى كريت وساسها بحكمة وغيرة رعائيّة حتى سنّ متقدّمة. رقد بسلام وأُودع جسده كاتدرائية غورتينا. بعد تحرّر الجزيرة من العرب نُقلت العاصمة إلى كنداكية حيث شُيّدت كاتدرائية جديدة إكراماً للرسول تيطس، ووضعت رفاته فيها. احتلّ أهل البندقية الجزيرة عام ١٢١٠، وعندما طردهم الأتراك منها عام ١٦٦٩ نقلوا معهم جمجمة

العدد ٣٤/٢٠١٠

الأحد ٢٢ آب

تذكار القديس الشهيد أغاثونيكس

اللحن الرابع

إنجيل السَحَر الثاني

فليكُنْ مفروزاً. ماران أثا* نِعمةُ ربِّنا يسوعَ المسيحِ معكم* محبَّتي معَ جميعِكم في المسيح يسوع. آمين.

الإنجيل

(متى ٢١: ٣٣–٤٢)

قال الربُّ هذا المثَل. إنسانٌ ربُّ بيتٍ غرسَ كرماً وحوَّطهُ بسياجٍ وحفر فيه مَعْصَرَةً وبنى بُرجاً وسلَّمهُ إلى عَمَلَةٍ وسافر* فلمَّا قَرُبَ أوانُ الثمر أرسلَ عبيدَهُ إلى العَمَلَة ليأخذوا ثمرَه* فأخذَ العَمَلَةُ عبيدَهُ وجلدوا بعضاً وقتلوا بعضاً ورجَموا بعضاً* فأرسل عبيداً آخرين أكثر من الأولين فصنعوا بهم كذلك* وفي الآخِرِ أرسل إليهم ابنَهُ قائلاً سيهابون ابني* فلمَّا رأى العَمَلَةُ الابنَ قالوا فيما بينهم: هذا هو الوارثُ، هلمَّ نقتُلهُ ونستولي على ميراثِهِ* فأخذوهُ وأخرجوهُ خارجَ الكرم وقتلوه* فمتى جاء ربُّ الكرم فماذا يفعلُ بأولئك العَمَلَة* فقالوا له إنَّه يُهلِكُ أولئك الأردياءَ أردأ هلاكٍ ويسلِّمُ الكرمَ إلى عَمَلَةٍ آخرين يؤدُّون له الثمرَ في أوانه* فقال لهم يسوع أمَا قرأتُم قطُّ في الكتب إنَّ الحجرَ الذي رَذَلَهُ

القديس تيطس وأودعوها كنيسة القديس مرقس في البندقية. وقد أُعيدت جمجمة القديس إلى كنيسة كريت في ١٢ أيار عام ١٩٦٦.

أمّا رسالة القديس بولس الرسول إلى تيطس فقد اعتبر دارسو الكتاب المقدّس أنها مع رسالتي القدّيس بولس إلى تيموثاوس رسائل رعائيّة لما تحتويه من تعليم حول الرتب الكنسيّة الأساسيّة، الأسقف والشيخ والشماس، وحول تنظيم الحياة الكنسيّة الرعائية.

يظهر من دراسة هذه الرسالة أنّ كنيسة كريت كانت تحت ضغط مسيحيين من أصل يهودي كانوا يعلّمون تعاليم باطلة (١٠:١) تخالف التعليم الصحيح (٢: ١)، وتقوم على خرافات يهودية وعلى عادات شعبية (١٤:١). فكانوا يعملون أعمالاً شائنة، وربما كانوا يدعون إلى معارضة السلطات المدنيّة (٣: ١، ١٠:١) ويسعون إلى الغش من أجل الحصول على أرباح ماديّة (١: ١١)، كما كانوا ميّالين إلى المخاصمة ورفض الطاعة (٣: ٢). وكان لأفراد هذه الجماعة تأثير واضح، إذ كانوا قادرين على الدخول إلى بيوت المؤمنين، كونهم مسيحيين مثلهم (١: ١٠). لمواجهة هذه الأوضاع يدعو الرسول بولس إلى إسكات هؤلاء المعاندين (١١:١)، وتوبيخهم بصرامة (١: ١٣)، وإلى عدم الدخول في مباحثات عقيمة معهم (٣: ٩).

يسمّي الرسول بولس تلميذه تيطس «الإبن الصريح حسب الإيمان المشترك»، ويدعوه إلى إكمال ترتيب ما ينقص، وإقامة شيوخ في كل مدينة (١: ٥). ويظهر من الآية السادسة من الإصحاح الأول أنّ هناك تماهياً بين الشيخ والأسقف

الذي عليه أن يتحلّى بفضائل أساسيّة: «إن كان أحد بلا لوم، بعلَ امرأةٍ واحدة، له أولاد مؤمنون ليسوا في شكاية الخلاعة ولا متمرّدين، لأنه يجب أن يكون الأسقف بلا لوم كوكيل الله غير معجب بنفسه ولا غضوب ولا مدمن الخمر ولا ضرّاب ولا طامع في الربح القبيح، بل مضيفاً للغرباء محبًّا للخير متعقّلاً بارًّا ورعاً ضابطاً لنفسه، ملازماً للكلمة الصادقة التي بحسب التعليم لكي يكون قادراً أن يعظ بالتعليم الصحيح ويوبّخ المنافقين» (١: ٦–٩). هذه الفضائل تجعل منه قدوة في الأعمال الحسنة وفي الكلام الصحيح: «مقدّماً نفسك في كلّ شيء قدوةً للأعمال الحسنة ومقدّماً في التعليم نقاوةً ووقاراً وإخلاصاً وكلاماً صحيحاً غير ملوم لكي يُخزى المضادّ إذ ليس له شيء رديء يقوله عنكم» (٢: ٧–٨).

هذا التعليم الصحيح يقوم على أن يحيا المؤمنون، المتقدّمون في السن والعجائز والأحداث والعبيد، حياة تعقّل وبرّ وتقوى (٢: ١–١٠) وأن يهتمّوا بممارسة الأعمال الحسنة «فإنّ هذه الأمور هي الحسنة والنافعة للناس» (٣: ٨): «لأنّه قد ظهرت نعمة الله المخلّصة لجميع الناس، معلّمةً إيّانا أن ننكر الفجور والشهوات العالميّة ونعيش بالتعقّل والبرّ والتقوى في العالم الحاضر، منتظرين الرجاء المبارك وظهور مجد الله العظيم ومخلّصنا يسوع المسيح، الذي بذل نفسه لأجلنا لكي يفدينا من كلّ إثم، ويطهّر لنفسه شعباً خاصًّا غيوراً في أعمال حسنة» (٢: ١١–١٤)، «ولكن حين ظهر لطف مخلّصنا الله وإحسانه، لا بأعمال في برّ عملناها

البنَّاؤونَ هو صار رأساً للزاوية. مِنْ قِبَلِ الربّ كانَ ذلك وهو عجيبٌ في أعيُنِنا.

تأمل

«إسهروا. إثبتوا في الإيمان. كونوا رجالاً تشدَّدوا. لتكن أموركم بالمحبَّة».

يُظهر هنا الرسول لأهل كورنثوس أنه عليهم أن لا يلقوا رجاء خلاصهم على المعلّمين فقط بل وأيضاً على أنفسهم ويقول: «إسهروا، إثبتوا في الإيمان» لا تتّكلوا على الحكمة الدنيوية لأنه في هذه الحكمة لا يستطيع الواحد أن يظلّ ثابتاً بل يتشتّت. بينما الإيمان يساعده على الثبات. ثم يضيف: «كونوا رجالاً، تشدَّدوا، لتصر أموركم كلّها في محبّة». يبدو من هذا الكلام أنه يحاول ظاهراً أن يحثّهم على الجهاد والمحبّة. لكنه في الواقع يلومهم بداعي كسلهم. لذلك يقول: «إسهروا» وكأنهم نائمون. «إثبتوا في الإيمان» وكأنهم متزعزعون. «لتصر كل أموركم في محبّة» وكأنهم في عداوة.

عندما يحثّهم على السهر والثبات يقول ذلك تجاه الذين يحاولون تضليلهم. نحن، بل بمقتضى رحمته، خلّصنا بغسل الميلاد الثاني وتجديد الروح القدس، الذي سكبه بغنًى علينا بيسوع المسيح مخلصنا، حتى إذا تبرّرنا بنعمته نصير ورثةً حسب رجاء الحياة الأبدية» (٣: ٤–٧).

التذمر

«إنَّ حياتنا مليئة بالإضطراب والقلق، الجميع يقلقون ويتضايقون ويشتكون، الأغنياء والفقراء، الحكّام والمواطنون العاديون، لكنّ الإضطراب والقلق لا يأتيان من الأمور الخارجيّة ومن ظروف الحياة بقدر ما ينتجان عن اضطرابنا ومرضنا الروحيَّين. فكما أنَّ العين المريضة ترى ظلمةً حتى في وضح النهار، هكذا أيضاً النفس المريضة تشعر بالإضطراب حتى في السلام. إن عَهدنا بكلّ مشاكلنا إلى الله، وإن آمنّا بأنّنا لا نملك شيئاً، وإن لم نبالِ بمجد الناس وسعينا إلى إرضاء الرب فقط، حينئذٍ سنكون بسلام حتى في عاصفة الحياة الرهيبة». هذا الكلام قاله القديس يوحنا الذهبي الفم منذ قرونٍ مضت، لكنّ مرض التذمّر والتشكّي لا يزال مستشرياً وسيستمر هكذا ما لم يقترب الناس حقًّا من الرب وما لم يعرفوا أنّه لن يتركهم أبداً.

«لا تهتمُّوا لِحياتكم بما تأكلونَ وبما تشربونَ، ولا لأجسادِكم بما تلبسونَ. أليستِ الحياةُ أفضلَ من الطَّعامِ والجسدُ أفضلَ من اللِّباس؟ انظُروا إلى طيورِ السماءِ إنَّها لا تزرعُ ولا تحصُدُ ولا تجمعُ إلى مخازنَ وأبوكم السماويُّ يُقوتُها. ألستم أنتم بالحريِّ أفضل منها...» (متى ٦: ٢٤–٣٤). هذا كلام الرب، والتلميذ الحقّ يثق بكلام معلّمه، فكم بالحريّ إذا كان المعلّم هو الله نفسه؟! لقد اهتمّ الربّ بالجميع عندما كان معهم، وحتى حينما انفصل عنهم بالجسد لم يتركهم يتامى إنَّما أرسل لهم معزّياً آخر، أي الروح القدس (يو ١٤: ١٥–١٨)، وذلك ليظهر لنا مزيداً من المحبّة وليجعلنا نثق أكثر بأنّه لم ولن يتركنا، إلاّ أنّنا كبشر ننسى دائماً ونبحث عن طمأنينة حسيّة حتى لو لم تكن ضمن الطريق إلى الله، وهذا ما حصل مع الشعب الإسرائيلي الذي لم ينتظر رجوع موسى ومعه الوصايا الإلهيّة فسئموا من الانتظار وجعلوا لهم عجلاً ذهبيًّا ليعبدوه (خروج ٣٢: ١–٦). كم من مرّةٍ نقوم نحن بمثل عمل بني إسرائيل، إذ ننسى الله ونتبع أموراً أخرى متذمّرين من أن الرب لا يستمع إلينا فنذهب لنجرّب طرقاً ثانية.

إنّ التذمّر يدلّ على ضعف في الإيمان وقلّة الثقة بالله، لأنّ المؤمن الحقّ يسبّح الله دائماً ويشكره على عطاياه الغزيرة. الإنسان ينسى ما لديه وما أعطي له من النِّعم ويتذكر ما ليس عنده حتى وإن كان هذا الشيء من أسخف الأمور. نحن نريد أن يعطينا الله كل ما نطلبه، لكنّ الله أبٌ، والأب تهمّه مصلحة أبنائه، فإذا كان ما يُطلب منه غير مفيد لأبنائه فإنّه لا يستجيب طلبتهم. الله يهب دائماً العطايا الصالحة، «أيُّ إنسانٍ منكم إذا سأله ابنُه خُبزاً يُعطيهِ حجراً؟ وإن سأله سمكةً يُعطيهِ حيَّةً؟ فإن كنتم وأنتم أشرارٌ تعرفونَ أن تُعطوا أولادكم عطايا جيّدة فكم بالحريِّ

أمّا عندما يقول لهم «كونوا رجالاً» فذلك يأتي نسبة للذين يهاجمونه. وبقوله «لتصر كلّ أموركم في محبّة» يربط كلامه بالكمال بمصدر وجذر كل الصالحات نسبة لكلّ الذين يجلبون الإضطراب ويحاولون أن يبدّدوهم ويفرّقوهم.

ولكن ماذا يقصد بالضبط بقوله «لتصر كلّ أموركم في محبّة»؟ يقصد ما يلي: إن كان أحد يوبّخ، إن كان أحد يَحكم أو يُحكَم عليه، إن كان أحد يعلّم أو يتعلّم، فليصر كلّ ذلك في محبّة لأن الرذائل السابقة كلّها تأتي من إهمال المحبّة. لأنه لو لم يكونوا قد أهملوها لما سقطوا في الكبرياء وقالوا «أنا لبولس وأنا لأبولّس» لو كانت المحبّة موجودة لما التجأوا إلى المحاكم حتى ولو حُكم عليهم. لو كانت المحبّة سائدة فيما بين الكورنثيين لما أخذ الواحد امرأة ابيه ولما ازدروا بإخوتهم الفقراء، لما كانوا انفصلوا عن بعضهم البعض واتّبعوا البدع والهرطقات، لما وقعوا في المجد الباطل من أجل المواهب. لذلك يقول في كلّ هذا: «لتصر كل أموركم في محبّة».

القديس يوحنا الذهبي الفم

أبوكُم الذي في السموات يَهَبُ خيراتٍ للذين يسألونَه؟» (متى ٧: ٩-١١)، لذلك علينا أن نثق به وألاّ ننتظر ونحصي الدقائق والسّاعات التي تسبق حصولنا على طلبنا لأنّنا لن نناله إذا لم يكن يوافقنا. في عرس قانا الجليل طلبت العذراء من ابنها الرب يسوع أن يفعل شيئاً من ناحية الخمر الذي فرغ، لكنّه انتظر الوقت المناسب لكي يقوم بتلبية الطلب، وقد جاءت الاستجابة أفضل بكثير من الطّلب نفسه إذ كان الماء المحوَّل خمراً أفضل من الخمر التي فرغت.

هكذا يعمل الربّ، فهو قد يجعلنا ننتظر لنتأكّد نحن من شدّة احتياجنا للأمر الذي نطلبه، لأنّنا في الكثير من الأحيان نطلب أموراً ننسى حتى أننا طلبناها بعد فترة وجيزة من الوقت، إنما يجب دوماً أن نثق بأنّ الله لا يخذلنا وهو القائل: «إسألوا تُعطَوا، أطلبوا تجدوا، إقرعوا يُفتح لكم» (متى ٧: ٧).

إذاً، في النهاية، بدلاً من أن نُتعب أنفسنا وألسنتنا والآخرين ممّن حولنا بتذمّرنا، لماذا لا نُريحهم بالصلاة والشكر على ما لدينا، وهكذا نصبح أدوات للتقديس، فنقدّس أنفسنا أولاً ثم يرى الآخرون انعكاس الفرح الإلهيّ فينا فننقل إليهم عدوى هذا الفرح فيصبحون قدّيسين بدورهم.

الباب الضيق

فتح وائل الباب فوجد مندوب شركة الأثاث وقد أتى ليسلّمه سرير أطفال كان قد اشتراه من الشركة. فرح وائل لأنّ سرير طفله الوحيد صار صغيراً عليه وبدأ بتركيب السرير. وإذ كان الجو بارداً، طلبت منه زوجته أن يدخل بالسرير إلى المطبخ ليقوم بتركيبه في الداخل. قام وائل بتركيب السرير وتغريته وكان الطفل متهلّلاً بسريره الجديد ويحاول أن ينام فيه. لكن والديه طلبا منه أن ينتظر دقائق حتى تتمّ تغريته. وإذ صار السرير معدًّا تماماً، ارتمى الطفل عليه. طلب الوالد من ابنه أن ينهض لكي ينقل له السرير إلى غرفته الخاصة، وكانت المفاجأة أن باب المطبخ كان ضيّقاً، فحاول الأبوان بكلّ الطرق ولم يفلحا إذ كان الأمر يحتاج إلى بوصة واحدة حتى يمكن إخراج السرير، ولم تكن هناك طريقة أخرى غير تحطيم السرير الذي كانت أجزاؤه قد التصقت تماماً، وكان لا بد من شراء سرير جديد.

لا تعجب ممّا فعله هذان الوالدان، فإنّنا كثيراً ما نفعل نحن الأمر نفسه. فإنّك أشبه بالإبن الوحيد الذي يريد أن يقام له سرير لراحته، فتبذل كل جهدك بحسابات بشرية تختلف عن الحسابات الإلهية، وإذ تحاول العبور بالسرير لكي تستريح تجد مسيحك الباب الضيق الذي به وحده تدخل إلى حضن أبيه السماوي.

الرب يسوع وحده يستطيع أن يريح نفسك التي حاولت طيلة حياتك أن تريحها ولم تستطع. الرب وحده هو الباب الذي يدخلك إلى حضن أبيه.

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb